الأَرْبَعُونَ القَلْبِيَةُ

مِنَ السُنَنِ الصحاحِ النَبوية



جمع وتعليق

د/ حمزة بن فايع الفتحي

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م


بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

البداية

الحمدُ لله هدى قلوبَ أهلِ الإيمان لطاعته، وشرحَ صدورَهم لمحبته، وجعل في سرائرهم موضع عبادته، وجمال خلقته، وأصلي وأسلم على خير خليقته، وسيد أهل دينه ودعوته، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإنَّ القلبَ ملكُ الأعضاء، وسيدُ الأشياء، وسرعظمة الإنسان، وآلة فهم القرآن، به استصلاح النفوس، ودرء الحزن والعبوس، لا تمتلئ القلوب من معارفه، ولا تشبع من لطائفه، به تحيا وتعيش، وبدونه تهلك وتطيش.

ولما كان بهذه المكانة، وتكرر ذكره في النصوص، آثرت تتبع أوصافه النبوية، وخصائصه الأثرية، التي جعلت المصطفى الكريم يخصه بمزيد العناية، ودقيق الدراية، لا سيما وهو سر الأسارير، ومحط الأعاجيب، وخلاصة المزاهير.

فقفوت (أربعين) من أوصافه، على طريقة أئمة العلم وعُرافه، من تفرغوا للجمع والحفظ، وأحبوا المذاكرة والفهم، علها تذكر المستذكر، وتنبه المتعظ، فيعاين ما للشريعة من عظمة، وما في القلب من خطر وحكمة، تستوجب الرعاية والتغذية، والإصلاح والتروية، فهو المقلب المحزون، والمصرف المفتون، من أحياه حيا في حياته، ومن أماته مات قبل وفاته، ولا حياة له بغير مداد خالقه، وزاد بارئه وحافظه. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾[(١)].

وقد نشأت معه فكرة **(الأربعين القلبية)**، وهو يجمع أحاديث الثبات والتمسك، فرآها موضوعا باهرا، وبابا علميا مباركًا، لاغنى للمسلم عنه، وهو يشاهد تقلب الناس، وتبدل أحوالهم، والله المستعان.

ونحن فيها على شرطنا المعهود: الصحة والدلالة، بحيث لا نحتج إلا بما صح، وبينه الأئمة، وكانت دلالته جليةً على المعنى المراد .

(١)[سورة الملك: آية ١٤].



وفِـي أربعيـنَ القلبِ قصرٌ مشـيدٌ
وليس يطالُ القصرَ هونٌ ولا ضعفُ
تطـلُّ النجـومُ الزهـرُ فيـه بلمعـةٍ
ومنظرها باهٍ وأنوارها لُطْفُ..!

وفقه هذه النصوص وفِي وجود القلب في العنصر البشري وضرورة إصلاحه وتعاهده، والحرص على سلامته، وحمايته من كل بلاء وسقم ولوثة...

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الكافي: القلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله. ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله،..».

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة: «الْقلبُ السَّلِيمُ الَّذِي ينجو من عَذَاب الله، هُوَ الْقلبُ الَّذِي قد سَلِمَ لرَبه وَسلم لأمره وَلم تبْق فِيهِ مُنَازعَة لأمره وَلَا مُعَارضَة لخبره، فَهُوَ سليم مِمَّا سوى الله وَأمره لَا يُرِيد الا الله وَلَا يفعل إِلَّا مَا أمره الله، فَالله وَحده غَايَته وأمره وشرعه وسيلته وطريقته..».

ونسأله سبحانه أن يوفقنا للقلوب السليمة، وأن يعيننا على ديمةِ المعالجة والنزاهة. وليعلم أن هذا الموضوع يهم كل مسلم لا سيما طلاب العلم وحملة الدعوة، فبصلاحهم وقلوبهم تصلح الأحوال، وتطيب المجالات، ويتضاعف التأثير، وهي معجزة ربانية نبهت عليها النصوص، وأن قوام الأمور، وانطلاق المرء من خلال صلاحَ قلبه، وتحقيق أعلا ارتقى إيماني به. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾[١]

(إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ)...![٢]

(١)[سورة محمد: آية ٢١]

(٢)أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)باختلاف يسير.



وفِي القرآن النجاء يوم القيامة لحملة القلب السليم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾(١).

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات».

وحين الفراغ من هذا المجموع، وجدتُ سابقا لي وهو الشيخ محمد بن أبو الحمد الدقيشي، جمع جزءا في ذلك أسماه (الأربعين القلبية من كلام خير البرية) لكنه لم يعنون ولَم يعلق، وقد توافقنا في بعضها، وأيضا الشيخ الفاضل محمد بن صالح المنجد، له صوتيات مختارة جمعها وشرحها، كما في المواقع الإلكترونية، والله الموفق، لا ربَّ سواه، وهو حسبنا ونعم الوكيل ...

محايل عسير

١٤٤٠/٨/٨هـ



(١) [سورة الشعراء: الآيات ٨٨-٨٩].

(١) الحديثُ الأول

إصلاحُ القلب

📖 عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)[١].

فيه بيان فضل القلب وأنه ملك الأعضاء ووجوب استصلاحه لصلاح الجسد، وخطورة تركه وتعريضه للفساد المنتهي لفساد الجسد وذبوله وترديه.

---

(١) البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٥٩).

ومقام هذا الحديث في الشريعة عظيم، فهو أصل من أصولها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولا بد فيه من شيئين:

تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب.

قال الجنيد بن محمد: التوحيد: قول القلب، والتوكل: عمل القلب، فلا بد فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان.

ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سَرَى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما

يريده القلب؛ ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)**[1].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلوب هي محل النظر ومحل الاعتبار، وهي أساس الصلاح والفساد، فمتى صلح قلبك في طاعة الله وخشيته والإخلاص له وتوحيده وتعظيم أمره ونهيه والموالاة في ذلك والمعاداة في ذلك صلحت أحوالك وأعمالك وانبعثت همتك إلى كل خير وتباعدت بذلك عن كل شر، ومتى فسد القلب بالشهوات المحرمة والنفاق والكفر والضلال فلا تسأل عما يقع من الشرور والفساد والمعاصي».

❋❋❋

(١) البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٥٩).

(٢) الحديثُ الثاني

تقلباتُ القلب

عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (لَقلبُ ابن آدمَ أشدُّ انقلابًا من القِدر إذا اجتمَعت غَلْيًا)[١].

في الحديث: بيان خطورة تقلب القلب، وأنه من الضعف والرخاوة حين الفتن واستسهال المعاصي، فوجب الحذر، والتزام الطاعة والاستقامة. وشبهه بالقدر على سبيل الاستعارة وتقريب المعنى في صورة المحسوس؛ للتنبيه، وهذا مِن حُسن تعليمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتركه سبب للمرض والقسوة، التي تقضي على ما تبقى منه، ولذلك تعينت المعالجة والمجاهدة، قال مالك بن دينار: (أربع من علم الشقاوة: قسوة القلب، وجمود العين، وطول الأمل، والحرص على الدنيا).

(١) المسند (٢٤٣٣٩) والبزار (٢١١٢).

(٣) الحديثُ الثالث

حزنُ القلب

عَنْ عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اشْتكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ.. وفيه:(أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا . وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، أَو يَرْحَمُ)(١).

فيه إثباتُ حزنِ القلب، وأنه سبب دمع العين، وأن المصائب مما تحزنه، واستحباب ضبط الجوارح كاللسان عند المحازن، لكيلا يؤاخذ العبد بسببها .

❋❋❋

(١) البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٩٢٤).

(٤) الحديثُ الرابع

القلبُ الرقيق

عن عياض المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم في خطبته: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ... وفيه: أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ)[١].

فيه فضل رقة القلب، وإنما يرققه قراءة القرآن وتدبره، وقيام الليل والصدقة، ورحمة الناس، وذكر الموت، والتفكير في الدار الآخرة، ومعايشة المساكين. ومن رقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمته للفقراء والأيتام والصغار، كحمله لأمامة بنت زينب في الصلاة المفروضة، وغيرها من صور رقته.

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).



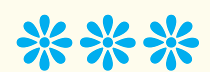
ويجب علينا أن نبحث عن هذه الرقة ونتلمس مظانها، لأن الجسد تبع لها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن القلب للأعضاء كالملك المتصرف في الجنود التي تصدر كلها عن أمره، فتكتسب منه الاستقامة أو الزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله» **اهـ.**

وإذَا القلوبُ استرسلت في غيها

كـانـت بليّتها على الأجسـام

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (اطلب قلبك في مواطن ثلاثة: عند سماع القرآن، وعند مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده فسَل الله قلبًا، فإنه لا قلب لك).





(٥) الحديثُ الخامس

موتُ القلب

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ)(١).

فيه إثبات موت بعض القلوب من فعل معاص وسلوكيات، وأن التباعد عنها سبب في حياة القلب، وأن المباحات إذا طغت أعمت وأضرت، وكانت سببا في القسوة والجفوة ..!

قال الإمامُ محمد بن واسع : (الذنبُ على الذنب يميتُ القلب).

(١) الترمذي (٢٣٠٥).

ولهذا لما قيل لسعيد بن المسيب: إن عبد الملك بن مروان قال: قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها و لا أحزن على السيئة أرتكبها، قال: الآن موت قلبه.

قال المحقق ابن الجوزي: (لا تحتقرْ يسيرَ الذنب، فإنّ العشبَ الضعيفَ يُفتلُ منه الحبلُ القوي، فيختنق منه الجمل السمين).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب الميت: هو الذي لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه.. فهو متعبد لغير الله: حبا، وخوفا، ورجاء، ورضا، وسخطا، وتعظيما، وذلا.. فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك».

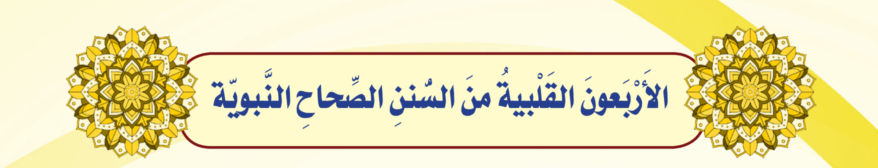
وعلامة موت القلب:

إعراضه عن الآيات، وتركه ذكر الله، وإيثاره الدنيا على الآخرة، وشغفه بالشهوات، وانهماكه في المعاصي، وضيقته

من التوبة والموت ومجالس الصالحين. والواجبُ التفكر في خطأ هذا المسار، والمسارعة بالمجاهدة وحياة الروح، وإعلان التوبة، ولن يجد أنفعَ ولا أروح له من كتاب الله.

قال العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِعْل المأمورات حياةُ القلب وغذاؤه، وزينتُه وسروره، وقُرَّة عينه، ولذَّته ونعيمه».

❊❊❊



(٦) الحديثُ السادس

بشاشةُ القلب

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديث أبي سفيان مع هرقل عظيم الروم قال: (وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بشاشته الْقُلُوبَ...)[1].

فيه فضل حلاوة الإيمان وبشاشته إذا خالطت القلوب، وأنها مانع من الارتداد والنكسة، وإنما تزيد وتنمو بالطاعات، والتباعد عن السيئات .

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاستدل بما يحصل لأتباعه مِن ذوق الإيمان الذي إذا خالطت بشاشته القلوب لم يسخطه ذلك القلب أبدًا، على أنه دعوة نبوة ورسالة، لا دعوة ملك ورياسة».

---

(١) البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

(٧) الحديثُ السابع

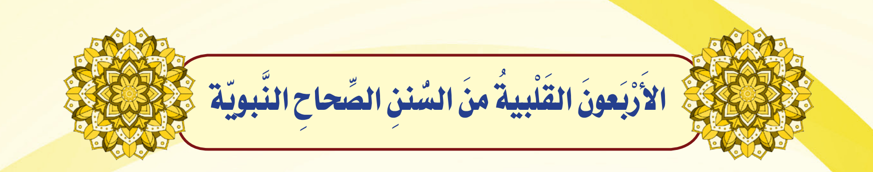
القلوبُ الغليظة

عَنْ أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: (الْإِيمَانُ هَاهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ - وَالْجَفَاءُ، وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ مِنْ حَيْثُ يَطْلع قرنا الشيطان؛ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)[١].

فيه إثبات غلظ بعض القلوب، مما يعني عنادها وصعوبة التأثير فيها .

قال في الفتح رَحِمَهُٱللَّهُ: «قال القرطبي: هما شيئان لمسمى واحد كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢] والبث هو الحزن، ويحتمل أن يقال: المراد بالجفاء أن القلب لا يلين بالموعظة ولا يخشع لتذكره، والمراد بالغلظ، أنها لا تفهم المراد ولا تعقل المعنى».

(١) البخاري (٣٤٩٨) ومسلم (٥١).
(٢) [سورة يوسف: آية ٨٦].



(٨) الحديثُ الثامن

اليمينُ القلبية

عَنْ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَثِيرًا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ: (لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ)(١).

فيه صحةُ اليمين واستحبابها بهذه الكلمات.

قال في الفتح: «ومقلب القلوب» هو المقسم به، والمراد بتقليب القلوب: تقليب أعراضها وأحوالها لا تقليب ذات القلب.

وفي الحديث دلالة على أن أعمال القلب من الإرادات والدواعي وسائر الأعراض بخلق الله تعالى، وفيه جواز تسمية الله تعالى بما ثبت من صفاته على الوجه الذي يليق به».

❋❋❋

(١) البخاري (٦٦١٧).

﴿ (٩) الحديثُ التاسع ﴾

نُكَتُ القلب

عن حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)[١].

فيه مخالطة الفتن والشهوات للقلوب، وأنها معروضة عليها على الدوام، وفضل القلب المنكر الصادّ لها، وأن المعاصي كالنكت السوداء، تتراكم إذا لم تجد توبة أو إنكارًا أو مجاهدة .

(١) مسلم (١٤٤).

نقل الامام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن بعضهم:** «مَعْنَاهُ تَظْهَرُ عَلَى الْقُلُوبِ أَيْ تَظْهَرُ لَهَا فِتْنَةٌ بَعْدَ أُخْرَى وَقَوْلُهُ كَالْحَصِيرِ أَيْ كَمَا يُنْسَجُ الْحَصِيرُ عُودًا عُودًا وَشَظِيَّةً بَعْدَ أُخْرَى قَالَ الْقَاضِي وَعَلَى هَذَا يَتَرَجَّحُ رِوَايَةُ ضَمِّ الْعَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّ نَاسِجَ الْحَصِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ كُلَّمَا صَنَعَ عُودًا أَخَذَ آخَرَ وَنَسَجَهُ فَشَبَّهَ عَرْضَ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى بِعَرْضِ قُضْبَانِ الْحَصِيرِ عَلَى صَانِعِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ قَالَ الْقَاضِي وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدِي وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ لَفْظِهِ وَصِحَّةُ تَشْبِيهِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ

قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)** مَعْنَى أُشْرِبَهَا دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا وَأُلْزِمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلَّ الشَّرَابِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾(١).

❋❋❋

(١)[سورة البقرة: آية ٩٣].

(١٠) الحديثُ العاشر

تصريفُ القلوب

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)[١].

فيه إثبات تصريف القلوب وخطورة ذلك، واستحباب المواظبة على هذا الدعاء، وأن القلوب صلاحها وتصريفها إلى الله الواحد الأحد .

❊❊❊

(١) مسلم (٢٦٥٤) .

(١١) الحديثُ الحادي عشر

القلبُ المملوء

عَنْ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا)[١].

فيه أن القلبَ وعاءٌ حقه الملء بالنافع المفيد، وكراهية طغيان الملاهي عليه، وذم الشعر إذا غلب على المرء، وخلا من الحكمة والفضيلة، والأولى ملؤه بالذكر والعلوم النافعة، والحكم الربانية الموصلة إلى الخالق جَلَّوَعَلَا.

❊❊❊

(١) البخاري (٦٠٥٥) ومسلم (٥٩٠٠).

(١٢) الحديثُ الثاني عشر

ظهرُ القلب

عَنْ سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي .. وفيه أنه زوّجها لفقير صاحب رداء، بما معه من القرآن قَالَ: (أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ). قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ)[1].

فيه أن القلب وعاءُ الحفظ ومخزنُ المعلومات، وهو محل العلم والوعي والتمييز .

وأن الحفظة مقدمون على من سواهم، وفضل الصحابة وعنايتهم بالقرآن، وأن الله يسره وحفظه وتدبره فأين المتعظ والمدكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧﴾[2].

(١) البخاري (٥٠٣٠) مسلم (١٤٢٥).

(٢) [سورة القمر: آية ١٧].

قال الإمامُ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس كما قال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[1] وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾[2].

قال مجاهد: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾[3] يعني هونا قراءته.

وقال السدي: (يسرنا تلاوته على الألسن).

وقال الضحاك عن ابن عباس: (لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عَزَّوَجَلَّ).

❋❋❋

(١)[سورة ص: آية ٢٩].

(٢)[سورة مريم: آية ٩٧].

(٣)[سورة القمر: آية ١٧].

(١٣) الحديثُ الثالث عشر

النزعُ من القلب

عَنْ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ، فَمَا نُقَبِّلُهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)(١).

فيه أن المشاعر الإنسانية من رحمة وقسوة مصدرها القلب، والذي يضاعفها وعي المرء وإدراكه لمعالم دينه الحاض على التراحم والتعاطف، وأنها قد تنزع فيفقد المرء إنسانيته، وكل ذلك بإرادة الله وقدرته ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾(٢).

قال ابن بطال: «رحمة الولد الصغير، ومعانقته، وتقبيله،

---

(١) البخاري (٥٩٩٨) ومسلم (٢٣١٧).

(٢) [سورة الملك: آية ١٤].



والرِّفق به، من الأعمال التي يرضاها الله ويُجازِي عليها، ألا ترى قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للأقرع بن حابس حين ذكر عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن له عشرة من الولد ما قبَّل منهم أحدًا: «مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ»(١).

❋❋❋

(١) البخاري (٥٩٩٧) مسلم (٢٣١٨).

(١٤) الحديثُ الرابع عشر

القلبُ المَهدي

عَنْ علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟ فَقَالَ: (إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ ؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ). قَالَ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا. أَوْ: مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ[١].

فيه فضل القلب المهدي، وأن الهداية بيد الله، وأن الأعمال الجليلة إنما تطلب بتوفيق الله وهدايته.

(١) أبو داود (٥٣٨٢).

ونحن كمسلمين نردد في الصلوات ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[1] وكل مسلم بحاجة إلى هذه الهداية على الدوام، وأن توخي العدل وصحة المسلك سبب للظفر بالهداية، وقد صح من دعائه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي)[2].

❊❊❊

(١) [سورة الفاتحة: آية ٦].

(٢) مسلم (٢٧٢٥).

(١٥) الحديثُ الخامس عشر

ائتلافُ القلوب

عَنْ جُنْدُب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز كاختلاف في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة، أو فتنة وخصومة، أو شجار ونحو ذلك، وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق، واختلافهم في ذلك فليس منهيا عنه، بل هو مأمور به، وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن، والله أعلم .

---

(١) البخاري (٥٠٦٠) ومسلم (٢٦٦٧).

(١٦) الحديثُ السادس عشر

اختلافُ القلوب

عَنْ أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: (اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أولو الأحلام والنهى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ). قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا[١].

فيه إثبات اختلاف القلوب، وأن بعض المعاصي كترك التسوية للصف سببٌ لذلك.

قال في التحفة: «قال الطيبي فتختلف بالنصب أي على جواب النهي وفي الحديث أن القلب تابع للأعضاء فإذا اختلفت اختلف وإذا اختلف فسد ففسدت الأعضاء لأنه رئيسها».

(١) مسلم (٤٣٢).

﴿ (١٧) الحديثُ السابع عشر ﴾

النظرُ إلى القلوب

عَنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[١].

في الحديث: فيه أن العبرة بعمل القلوب والجوارح وليس الأموال والأشكال، لأن بها تحصل التقوى وتعظيم الله، ومحبة شرعه والانقياد له .

قال الإمامُ ابن رجب رحمه الله تعالى: «أفضل الناس من سلك طريق النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية، فإنَّ سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان».

قال الشيخ السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي فأصلحوا أعمالكم وقلوبكم ولا تجعلوا همتكم متعلقه بالبدن والمال».

(١) مسلم (٢٥٦٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث يدل على ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1].

فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا ينظر إلى العباد إلى أجسامهم هل هي كبيرة أو صغيرة، أو صحيحة، أو سقيمة، ولا ينظر إلى الصور، هل هي جميلة أو ذميمة، كل هذا ليس بشيء عند الله، وكذلك لا ينظر إلى الأنساب؛ هل هي رفيعة أو دنيئة، ولا ينظر إلى الأموال، ولا ينظر إلى شيء من هذا أبدًا، فليس بين الله وبين خلقه صلة إلا بالتقوى، فمن كان لله أتقى كان من الله أقرب، وكان عند الله أكرم؛ إذًا لا تفتخر بمالك، ولا بجمالك، ولا ببدنك، ولا بأولادك، ولا بقصورك، ولا سياراتك، ولا بشيء من هذه الدنيا أبدًا، إنما إذا وفقك الله للتقوى، فهذا من فضل الله عليك، فاحمد الله عليه.

❊❊❊

(١)[سورة الحجرات: آية ١٣].

(١٨) الحديثُ الثامن عشر

وهنُ القلوب

عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ :قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تداعى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غثاء كغثاء السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[١].

فيه أن القلوب توهن وتضعف، وأن كثرة المسلمين لا يصلح فساد القلوب .

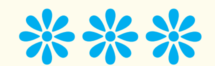
قال في عون المعبود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(وليقذفن) بفتح الياء أي: وليرمين الله. (الوهن) أي: الضعف، وكأنه أراد بالوهن

---

(١) أبو داود (٤٢٩٧).

ما يوجبه، ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت. قاله القاري».

والمعنى أنهم متعلقون بالدنيا وزهراتها، مرتعبون من الموت ومقدماته.



(١٩) الحديثُ التاسع عشر

القلوبُ العارفة

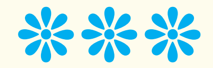
عن أبي حُميد وأبي أُسيد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ، وأبشاركم وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ، فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَنْفِرُ أَشْعَارُكُمْ، وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ، فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ)[١].

فيه فضل القلوب العارفة، العالمة بحديث رسول الله، والسبب صفاؤها وامتلاؤها باليقين المورث للعلم. وإنما تعرف القلوب دينها إذا تطهرت بذكر ربها، واذعنت لشرعه، وذهب عنها الريب والبهتان، وصفت من كل دخن وخلل.

(١) المسند (١٦٠٥٨).



قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي القلب..حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران وحسرات: لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك حتى وقت لقائه، وفيه فاقةٌ لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره».



(٢٠) الحديثُ العشرون

تجديدُ القلوب

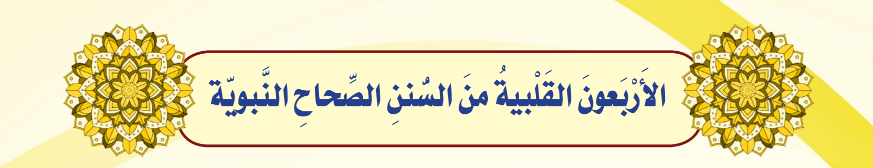
عن عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (إنَّ الإيمانَ ليخلَقُ -أي يبلى- في جوفِ أحدِكم كما يخلَقُ الثَّوبُ، فسَلُوا اللهَ تعالى أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم)[1].

فيه فضل تجديد القلوب، وأن تجديدها يكون بالإيمان ومن وسائله الدعاء، الذي يتعلق به بربه، ويؤمن به ويتوكل عليه.

ويتجدد الإيمان في القلب أيضًا بالذكر المطلق وتلاوة القرآن ، والصلة والبر، ومجاهدة النفس والتفكر في اليوم الآخر، والتوبة ، واللهج بالتسبيح وقيام الليل، والخوف من سوء الخاتمة، أحسن الله ختامنا جميعًا.

---

(١) الطبراني (١٤٦٦٨) والحاكم (٥) بسند حسن.



(٢١) الحديثُ الحادي والعشرون

جزَعُ القلب

عن عمرو بن تغلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أَمَّا بَعْدُ، فَوَ اللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ). فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعم[١].

فيه بيان جزع القلوب، وأنها تتأثر بما يخالطها من أخلاق وسلوكات، وفيه منقبة لعمرو بن تغلب، ومدح القائد المعلم لأصحابه.

---

(١) البخاري (٩٢٣).

قال في الفتح: «قال ابن بطال: مراده في هذا الباب إثبات خلق الله تعالى للإنسان بأخلاقه من الهلع والصبر والمنع والإعطاء، وقد استثنى الله المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون، لا يضجرون بتكررها عليهم ولا يمنعون حق الله في أموالهم؛ لأنهم يحتسبون بها الثواب ويكسبون بها التجارة الرابحة في الآخرة، وهذا يفهم منه أن من ادعى لنفسه قدرة وحولا بالإمساك والشح والضجر من الفقر، وقلة الصبر لقدر الله تعالى ليس بعالم ولا عابد؛ لأن من ادعى أن له قدرة على نفع نفسه أو دفع الضر عنها فقد افترى. انتهى ملخصا».

❊❊❊

(٢٢) الحديثُ الثاني والعشرون

القلبُ الواحد

عَن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ)[١].

فيه فضلُ اجتماع القلوب على قلبٍ واحد صفاءً ونقاء، وأن ذلك سمتٌ لأهل الجنة، وهو تطهيرها من مذمومات الأخلاق ونزاعات أهل الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾[٢].

❋❋❋

(١) البخاري (٣٢٤٦) مسلم (٢٨٣٤).

(٢) [سورة الحجر: آية ٤٧].

(٢٣) الحديثُ الثالث والعشرون

ختمُ القلوب

عن عبدالله بن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ ودَعْهِم- تركهم -الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ)(١).

فيه قبحُ التخلف عن الجمعة بلا عذر، وأنه معصية، ومن سوء عاقبتها الختم على القلب أي تغطيته وحرمانه من ينابيع الخير.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: **"ودعهم"** أي: تركهم، وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم: الطبع والتغطية، قالوا في قول الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٢) أي: طبع. ومثله

(١) مسلم (٨٦٥).

(٢) [سورة البقرة: آية ٧].



«الرين»، فقيل: الرين: اليسير من الطبع، والطبع: اليسير من الأقفال، والأقفال أشدها».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الجواب الكافي**: «الذنوب إذا تكاثرت: طُبِعَ على قلب صاحبها، فكان من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[1] قال: هو الذنب بعد الذنب، وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب، حتى قال: وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فاذا زادت: غلب الصدأ حتى يصير رانـًا، ثم يغلب حتى يصير طبْعًا، وقفلاً، وختمـًا، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فاذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة: انتكس، فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه، ويسوقه حيث أراد».

❋❋❋

---

(١)[سورة المطففين: آية ١٤].

(٢٤) الحديثُ الرابع والعشرون

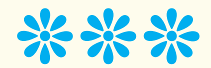
قلوبُ الشياطين

عن حذيفة بن اليمانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال:، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نعَمْ». قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[١].

(١) مسلم (١٨٤٧).



فيه بيان تغير أحوال الناس في آخر الزمان، وظهور الأئمة المبطلين المبدلين، الراغبين عن السنة، وأن قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، فالبواطن خبيثة منطوية على الفساد والشر، ومع ذلك تجب طاعتهم والصبر على الأذى .



(٢٥) الحديثُ الخامس والعشرون

نكتةُ القلب السوداء

عَنْ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ، كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الران الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾)[1] [2].

فيه أن الذنب سببٌ للنكتة السوداء، والاستغفار يصقلها ويزيلها قال تعالى ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾[3].

وقبلها التوبة والنزع وديمة الاستغفار.

---

(١)[سورة المطففين: آية ١٤].

(٢)ابن ماجه (٤٢٤٤) بسند حسن .

(٣) [سورة هود: آية ٣].



يقول المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الحكيم: وأشار بالإكثار إلى أنَّ الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة فساعة، والعذاب عَذابان: أدنى وأكبر، فالأدنى عذاب الذنوب والعيوب، فإذا كان العبد مستيقظًا على نفسه فكلَّما أذنب أو أعتب أتبعهما استغفارًا، فلم يبقَ في وبالها وعَذابها، وإذا لها عن الاستغفار تراكمتْ ذنوبُه؛ فجاءت الهموم والضِّيق والعسر والعَناء والتَّعب، فهذا عذابه الأدنى، وفي الآخِرة عذاب النار، وإذا استغفر تنصَّل من الهمِّ؛ فصار له من الهُموم فرجًا، ومن الضيق مخرجًا ورزَقَه من حيث لا يحتسب».

❊❊❊

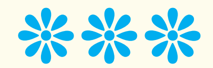


(٢٦) الحديثُ السادس والعشرون

القلبُ النقي

عَنْ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (نِعْمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَةٌ أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمَانُهُمْ، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ)[١].

فيه فضل نقاء القلوب وهو سلامتها من كل غش وغل، وهو منقبة ظاهرةً للأزد .



(١) المسند (٨٦١٥) بسند حسن .

(٢٧) الحديثُ السابع والعشرون

الصدرُ المتردد

عن النواس بن سمعان الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْم، فَقَالَ: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حاك في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)[١].

فيه فضل البر، وأن ضده من الخصال هي الإثم المحتار فيه، والمضطرب في القلب. .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق، ومعنى «حاك في صدرك» أي: تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك، وخوف كونه ذنبا».

(١) مسلم (٢٥٥٣).

(٢٨) الحديثُ الثامن والعشرون

القلبُ الفسيح بأحكام الإسلام

عن قَبيصَةُ بْنُ هُلْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ مِنَ الطَّعَامِ طَعَامًا أَتَحَرَّجُ مِنْهُ. فَقَالَ: (لَا يَتَخَلَّجَنَّ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ ضَارَعْتَ فِيهِ النَّصْرَانِيَّةَ)[١].

فيه وضوح الشرائع وسلامتها، وأنها مما يطمئن بها القلب عقيدة وشريعة، وعبادة وعادة، وقوله (لا يتخلجن): أي لا يتحركن .

والمعنى: لا يدخل في قلبك ضيق وحرج لأنك على الحنيفة السهلة، فإذا شككت وشددت على نفسك بمثل هذا شابهت فيه الرهبانية.

---

(١) أبو داود (٣٧٨٤) بسند حسن.

(٢٩) الحديثُ التاسع والعشرون

غنى الصدر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ)(١).

فيه فضل القلب الغني، وأن التفرغ العبادي سبب للغنى والثبات والاستقامة، وأن من أصلح حاله مع الله، أصلح الله له دنياه. وصح من دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى)(٢).

قال في التحفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي تفرغ عن مهماتك لعبادتي أقضي مهماتك وأغنيك عن خلقي، وإن لا تفعل ملأت

(١) الترمذي (٢٤٦٦).

(٢) مسلم (٢٧٢١).

يديك شغلا، وتسكن للتخفيف. ولم أسد فقرك أي إن لم تتفرغ لذلك واشتغلت بغيري لم أسد فقرك لأن الخلق فقراء على الإطلاق فتزيد فقرا على فقرك».

❊❊❊

(٣٠) الحديثُ الثلاثون

حفظُ الصدور

عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ، اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا)[١].

فيه أن المذاكرة القرآنية سبب لحفظ الصدور وعدم التفلت والتفصي الحاصل من جراء الهجران والإهمال والله المستعان ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾[٢].

وأن الذكر يثبت في القلوب بدوام المراجعة والتعاهد اليومي، وأن علوم القلوب معرضة للنسيان ما لم تتعاهد

(١) البخاري (٥٠٣٢) مسلم (٧٩٠).

(٢) [سورة الفرقان: آية ٣٠].

من حين لآخر، وخير تلك العلوم القرآن، وهو مادة الإيمانِ والعلم والنماء والثبات، وبه يحصل الخير والطيب والانشراح.

وقد جاء عن أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنَّه قال:** «كنَّا نَعُدُّ من أعظم الذُّنوب، أن يتعلَّم الرَّجل القرآن ثمَّ ينام عنه، حتَّى ينساه».

وعن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **- بإسنادٍ صحيح - في الذي ينسى القرآن:** «كانوا يكرهونه، ويقولون فيه قولاً شديدًا».

❊❊❊

(٣١) الحديثُ الحادي والثلاثون

صدورُ العلماء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ». فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ، أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «يُرْفَعُ الْعِلْمُ». قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ يُنْزَعُ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعُلَمَاءُ[1].

فيه بيان أن صدور العلماء ظرف للعلم وحفظه، وأن نزعه بموتهم وفقدانهم في الحياة كما في حديث الصحيحين (ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ)[2].

وهذا العلم إنما يُجمع بالجد والحفظ، والحزم والتحصيل، يتعب لأجله، ويسافر إليه، وتتحمل الأرزاء دونه. ولا يستحق الرجلُ وصف العالم حتى يطالع ويحيط، ويتقن ويتمكن، والنَاسُ شهود الله في أرضه.

(١) المسند (١٠٢٣١).

(٢) البخاري (١٠٠).

(٣٢) الحديثُ الثاني والثلاثون

القلبُ المقذوف

عن صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ.. وفيه: مر رجلان فأسرعا لما رأياه، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا)[١].

فيه بيان تسلطِ الشيطان على ابن آدم بمقذوفات الوساوس والأفكار السيئة، التي تكدر إيمانه وسلوكه.

قال في الفتح: «فقد روى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس ابن عيينة فسأله عن هذا الحديث فقال الشافعي: إنما قال لهما ذلك؛ لأنه خاف عليهما الكفر إن ظنا به التهمة فبادر إلى إعلامهما، نصيحة لهما قبل أن يقذف

(١) البخاري (٢٠٣٥) مسلم (٢١٧٥).

الشيطان في نفوسهما شيئا يهلكان به.. وفيه: بيان شفقته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته وإرشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم. وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار».

وما أتي بعض الناس إلا من هذه الوساوس والإيرادات، والواجبُ دفعها، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في انتفاعه بوصية شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال لي شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد جعلت أورد عليه إيراد بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أَشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات، أو كما قال). ويثني عليها ويقول: «ما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك».

❋❋❋

(٣٣) الحديثُ الثالث والثلاثون

القلوبُ اللينة

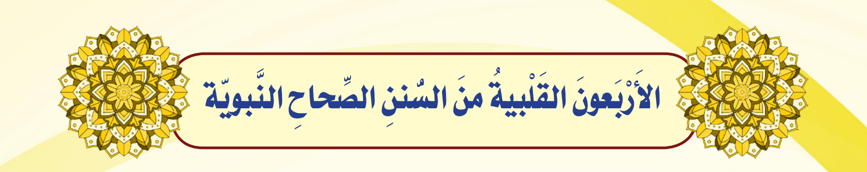
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ)[1].

فيه فضيلة ظاهرة لأهل اليمن، وأنهم من ذوي القلوب اللينة .

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله «هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا» أي لأن الفؤاد غشاء القلب، فإذا رق نفذ القول وخلص إلى ما وراءه؛ وإذا غلظ بعد وصوله إلى داخل، وإذا كان القلب لينا علق كل ما يصادفه.

---

(١) البخاري (٤٣٨٨) مسلم (٥٢).



(٣٤) الحديثُ الرابع والثلاثون

أفئدةُ الطير

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ)[١].

فيه فضل الأفئدة المحاكية للطير سلامة وضعفًا وصفاء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: مثلها في رقتها وضعفها، كالحديث الآخر: «أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة»، وقيل: في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفا وفزعا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢]، وكأن المراد: قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم، وقيل: المراد: متوكلون، والله أعلم» .

(١) مسلم (٢٨٤٠).

(٢) [سورة فاطر: آية ٢٨].



وأما الفرق بين القلب والفؤاد، فقد قال الجرجاني: «القلب مصطلح على اللطيفة الربَّانية بالقلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع من الصدر، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان».

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأفئدة: جمع الفؤاد، وأصله القلب، ويطلق كثيرًا على العقل وهو المراد هنا في قوله ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[1].

❋❋❋

(١)[سورة الملك: آية ٢٣].

(٣٥) الحديثُ الخامس والثلاثون

إجمامُ القلوب

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ بِالتَّلْبِينِ لِلْمَرِيضِ وَلِلْمَحْزُونِ عَلَى الْهَالِكِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)[١].

فيه فضل التلبينة وأنها مريحة للمحزون.

قال النووي: (مَجَمَّةٌ) وَيُقَال: (مُجِمَّةٌ) أَيْ: (تُرِيح فُؤَاده وتزيل عَنْهُ الْهَمّ، وَتُنَشِّطهُ) انتهى .

والتلبينة: حساء يُعمل من ملعقتين من مطحون الشعير بنخالته، ثم يضاف لهما كوب من الماء، وتطهى .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإذا شئتَ أن تعرف فضل التلبينة: فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم؛ فإنها

(١) البخاري (٥٦٨٩) مسلم(٢٢١٦) .



حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحـًا، والتلبينة تطبخ منه مطحونـًا، وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن، وقد تقدم أن للعادات تأثيراً في الانتفاع بالأدوية والأغذية، وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونـًا لا صحاحـًا، وهو أكثر تغذية، وأقوى فعلاً، وأعظم جلاءً ...) انتهى.



(٣٦) الحديثُ السادس والثلاثون

رجفانُ الفؤاد

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في قصة نزول الوحي: ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وفيه قال: في مجيء الملك: (فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾[1]». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ،... الحديث. وفي رواية (ترجفُ بوادره)[2].

فيه بيان رجفان القلب وتأثره بما يعرض، والمرادُ تحرك واضطرب اضطرابًا شديدا.

قال في الفتح: «قال شيخنا: الحكمة في العدول عن

(١)[سورة العلق: الآيات ١-٣].

(٢)البخاري (٣) مسلم (١٦٠).



القلب إلى الفؤاد أن الفؤاد وعاء القلب على ما قاله بعض أهل اللغة، فإذا حصل للوعاء الرجفان حصل لما فيه فيكون في ذكره من تعظيم الأمر ما ليس في ذكر القلب.

وأما بوادره فالمراد بها: اللحمة التي بين المنكب والعنق، جرت العادة بأنها تضطرب عند الفزع، وعلى ذلك جرى الجوهري أن اللحمة المذكورة سميت بلفظ الجمع، وتعقبه ابن بري فقال: البوادر: جمع بادرة؛ وهي ما بين المنكب والعنق، يعني: أنه لا يختص بعضو واحد، وهو جيد، فيكون إسناد الرجفان إلى القلب؛ لكونه محله، وإلى البوادر؛ لأنها مظهره ...» .

❋❋❋

(٣٧) الحديثُ السابع والثلاثون

ثمرةُ الفؤاد

عَـنْ أَبِـي مُوسَـى الْأَشْـعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُـمْ وَلَـدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُـونَ: نَعَمْ. فَيَقُـولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَـرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُـولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْـتَرْجَعَ. فَيَقُـولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ)[١].

فيه فضل الولد والصبر على فقدانه وأنه ثمرة الفؤاد، وقيل سمى الولد ثمرة فؤاده لأنه نتيجة الأب كالثمرة للشجرة .

وفضلُ الحمد عند المصائب واثبات بيت الحامدين، وأضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة لأنه جزاء ذلك الحمد، قاله القاري رَحِمَهُٱللَّهُ .

(١) الترمذي (١٠٢١).

(٣٨) الحديثُ الثامن والثلاثون

خفةُ القلبِ وتقلبه

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلاةٍ)(١).

فيه خفة القلب ولطفه وسهولة تغييره .

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ في الحاشية: «قال الطيبي المثل هنا بمعنى الصفة لا القول السائر والمعنى صفة القلب العجيبة الشأن وورود ما يرد عليه من عالم الغيب من الدواعي وسرعة تقلبها، بسبب الدواعي كريشة واحدة تقلبها الرياح بأرض خالية من العمران فإن الرياح أشد تأثيرا فيها منها في عمران تقلبها من القلب أو التقليب والثاني هو الأشهر الأظهر في مقام المبالغة لدلالته على التكثير وهو الأوفق

(١) ابن ماجه بسند حسن (٨٨).

بجمع الرياح ليظهر التقلب إذ لو استمر الريح على جانب واحد، لم يظهر التقلب والجملة صفة للريشة لكون تعريفها للجنس».

❋❋❋

(٣٩) الحديثُ التاسع والثلاثون

دواءُ غلّ القلوب

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)(١).

فيه فضل تطهير القلب من الغل، وهو الغش والحسد أو الخيانة، وأن هذه الخصال مما يستصلح بها القلوب .

قال الشيخ السندي: «قوله (لا يغل) بكسر الغين المعجمة وتشديد اللام على المشهور والياء تحتمل الضم والفتح فعلى الأول من أغل إذا خان وعلى الثاني من غل إذا صار ذا حقد وعداوة».

---

(١) الترمذي (٢٦٥٨).



قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الخصال تنفي الغل: «لا يبقى فيه غل» من عملَ بها، نفَى وطردَ الغل، وأخرجه من قلبه، ولن يحملَ قلبه غلاً، بل إن هذه الثلاثة تنقي القلب من الغل، فالقلب يَغل على الشرك، ويَغل على الغش، يَغل على البدعة والضلالة، وهذه الثلاثة: الشرك، والغش، والخروج عن جماعة المسلمين، تملأه دغلاً وغلاً، فإذا جرد الإخلاص والنصح، وتابع السنة؛ نفى ذلك ..!

❊❊❊

(٤٠) الحديثُ الأربعون

القلبُ الكرْمي

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ: الْكَرْمُ ؛ فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ)[١].

قال الخطّابي رَحِمَهُٱللَّهُ **ما ملخصه:** (إن المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في تبقية هذا الاسم لها تقريرا لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها فنهى عن تسميتها كرما وقال: إنما الكرم قلب المؤمن لما فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام).

وفي الفتح: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: لما كان اشتقاق الكرم من الكرم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة

(١) البخاري (٦١٨٣) مسلم (٢٢٤٧).

إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء لأن المؤمن خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان.

❋❋❋

(٤١) الحديثُ الحادي والأربعون

ترويحُ القلوب

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَزْوَاجِ وَالضَّيْعَةِ وَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ: فَوَاللهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَانْطَلَقْنَا، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟» قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ،

وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً»[1].

فيه بيان تغير القلوب حين تباعدها عن مجالس الذكر، وحرص السلف على المعالجة، وخوفهم النفاق.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه: أنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا .

قال السندي في الحاشية: قوله (لو كنتم كما تكونون) نبههم على أن الحضور لا يدوم عادة وعدمه لا يضر في وجود الإيمان في القلب والغفلة إنما تنافي الحضور فلا يلزم منها عدم الإيمان .

و(ساعة) يكون الحضور لينتظم به أمر الدين وساعة تكون الغفلة لينتظم بها أمر الدين والمعاش، وفي كل منهما رحمة على العباد .

---

(١) مسلم (٢٧٥٠).

(٤٢) الحديثُ الثاني والأربعون

القلوبُ القاسية

عن أبي الأسود الدؤلي قال: بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَقُرَّاؤُهُمْ فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.(١)

فيه تحذير حملة القرآن من هجره المورث لقسوة القلب، كما وقع للقرون السالفة، وهي أشد عقوبة تقع بالإنسان.

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله عَزَّوَجَلَّ على قوم إلا نزع منهم الرحمة).

(١) مسلم (١٠٥٠).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما ضُرب عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوة القلب والبعد عن الله). و(خلقت النار لإذابة القلوب القاسية). و(أبعدُ القلوب من الله القلب القاسي) .

❊❊❊

(٤٣) الحديثُ الثالث والأربعون

القلبُ المخموم

عَنْ عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»(١).

فيه فضل القلب المخموم الطاهر النقي، ومعنى «كل مَخْمومِ القلبِ»، أي: سَليمِ القَلبِ نَظيفِه، وهو مِن تَخميمِ البَيتِ، أي: كَنْسِه وتَنظيفِه، والمعنى: أن يكونَ قلبُه نَظيفًا خاليًا مِن سيِّئِ الأخلاقِ، «صَدُوقِ اللِّسانِ»، أي: لسانُه مُبالِغٌ في الصِّدقِ، فيَحصُلُ بذلك المطابَقَةُ بين تَحسينِ اللِّسانِ وطهارةِ القَلبِ، فيَخرُجُ عن كوْنِه ممثلا مُرائيًا.

(١) ابن ماجه (٤٢١٦).



وفي الحديثِ: الحَثُّ على سَلامةِ الصُّدورِ والقلوبِ مِن الصِّفاتِ الخبيثةِ؛ كالغِلِّ والحِقدِ والحسَدِ، وغيرِ ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1].

وفيه: أنَّ اللهَ سبحانه يَنظرُ إلى القلوبِ والأعمالِ، لا الصور والأجساد، فيُجازي على ما يَطَّلِعُ عليه فيها من خير وبر، كما تقدم والله أعلم .

❊❊❊

(١)[سورة الحشر: آية ١٠].



(٤٤) الحديثُ الرابع والأربعون

عاقبة القلوب السليمة

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُئْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلَاثَ، فَلَمْ



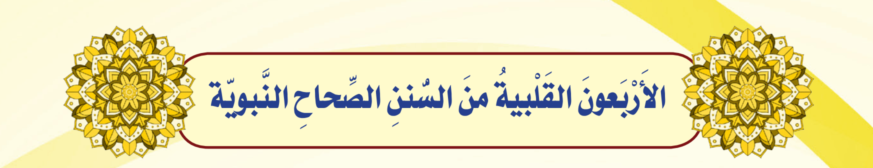
يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَاللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[1]

(١) المسند (١٢٦٩٧).

في الحديث فضل القلب السليم الطاهر، والذي عوفي من الأسقام الشائعة بين الناس لا سيما أرباب الحسد والتنافس الدنيوي المذموم، وأن ذلك من مفاتيح الجنة، وحرص ابن عمرو على نيل ذلك، وصعوبتها على كثير من الناس .

قال سفيان بن دينار: قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرا ويؤجرون كثيرا. قال: قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم!

❋❋❋



(٤٥) الحديثُ الخامس والأربعون

القلب الثابت

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[1].

فيه بيان نوع القلوب الثابتة، وسؤال الله الثبات دائمًا، وأن الدعاء باب إلى ذلك، وفيه دليل أن المؤمن لا يركن إلى طاعاته وحسناته، وليكن وجلا، متوكلا على ربه، سائلا متضرعا.

قال في التحفة: «(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ) أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية وتارة إلى الحضرة وتارة إلى

(١) الترمذي (٢١٤٠). صحيح.



الغفلة (ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) أي اجعله ثابتا على دينك غير مائل عن الدين القويم والصراط المستقيم».

ومثل هذا الدعاء يقوي القلب، ويلهمه الصواب، ويعلقه بربه تعالى.

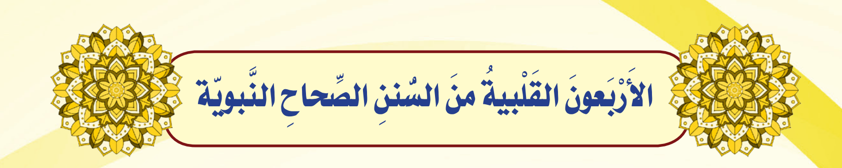
قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إني أخاف أن أُسلب الإيمان قبل أن أموت)، لأن قلبه حي، ونفسه خائفة، وجوارحه لاهثة، فهو يخشى الزلل، ويخاف العثرات، وسوء الخاتمة. حيث لا اغترار بالحسنات، ولا اعتماد على القربات، كما قال الله: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1].

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ..

❊❊❊

---

(١)[سورة المؤمنون: آية ٦٠].



تمت الأربعون القلبية بحمد الله وتوفيقه .

واكتملَ العقدُ بأربعينا
قلبيةً تكشف ما لقينا
فجاهدِ القلبَ بذا الإيمانِ
وارفعه عن سوءٍ وعن طعانِ
فإنه السيد للأعضاءِ
به صلاحها بلا مراءِ

❊❊❊

الفهرس

❊❊❊



التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
للتواصل:
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com